

رهان العلوم الإنسانية لدى ميشال فوكو *Michel Foucault*

Human the sciences of stake at Michel Foucault

تاريخ القبول: 20/12/2018

تاريخ الارسال: 10/04/2018

رايس زاوي، جامعة سيدي بلعباس
rais1111@yahoo.fr

الملخص

تهدف هذه الورقة البحثية إلى تناول إحدى الإشكاليات الراهنة ، والمتعلقة بمسألة العلوم الإنسانية والتي بدأت مع أحداث ماي 1968 بفرنسا ، المتوطنة في واقع المفكر المعاصر ، الفلسفي والفكري ، والتي طرحت بقوة في علاقتها بالتمثيل . من هنا أصبح سؤال التحدي الأكبر ، هو الرهان الذي يفرض على هذه العلوم من الخارج ، لتصحيح مسارها الفكري والفلسفي والسياسي والاجتماعي ، والمتمثل في طابعها الإشكالي الأبرز حينما يتعلّق الأمر بالرهان . على هذا الأساس ، تراهن العلوم الإنسانية على تحديد خطاب عقلاني-نقدي يدعو إلى الاختلاف والتنوّع ، وضمن هذا السياق الإشكالي تحاول هذه الورقة البحثية الإجابة عن الإشكالية المحورية التالية: هل استطاعت العلوم الإنسانية في رهانها المطروح أن تجعل مشروع الحداثة موضوعاً لإعادة قراءته؟

الكلمات المفتاحية: الرهان والعلوم الإنسانية ، إعادة قراءة الحداثة ، الإنسان مجرد مفهوم ، أحداث الطلبة.

Résumé

Ce document vise à répondre à l'une des problématiques actuels, concernant la question des sciences humaines, depuis les événements du Mai 1968 en France, endémique dans la réalité de vie du l'intellects contemporain philosophique et scientifique, évoquée avec puissance dans sa relation de la Représentation.

De là, la question du grand défi, est devenue l'enjeu qui s'impose aux ces sciences de l'extérieur pour qu'elles reformulent son parcours philosophique, politique et social, qui se caractérise par son caractère problématique quand elle s'adjoit au l'enjeu philosophique.

Sur cette base, les sciences humaines misent sur un discours rationnel- critique qui fait appel à la différence et la diversité. Dans ce contexte, notre recherche tente de répondre au problème crucial suivant : Les sciences humaines ont-elles pu faire du projet de la modernité un sujet de relecture ?

Mots Clés : L'enjeu et les sciences humaines, La relecture de la modernité, L'homme va devient juste un concept, Les manifestations des étudiants.

Abstract

This paper aims to address one of the current problems concerning the issue of human sciences, which began with the events of May 1968 year in France, and endemic in the living reality of contemporary philosophical and scientific intellect, which has been posed that power in its relation with representation.

For here, the question of the great challenger is the issue, which juxtaposed on its sciences of the outside for to reformulate it is scientific, philosophical, political and social course about that we have singled out by its problematic character when it is assistant to the philosophical challenge.

For the reason, the humane sciences finced the limitation on a relational-critical discourse that called for difference and diversity. In this context, our research attempts to solve the following crucial problem: can the human sciences be able to pose statute of modernity as a project of proofreading.

Keywords: Stake and the human sciences, Amazing to modernity, Conception just the man, Students of the events.

مقدمة

تناقض يتجاوزه فوكو، ليُحدّد طبيعة القدرات لخلق التغيير، بجعله ممكناً فقط من الخارج بخلاف الخبرات التي تحدث عنها ديكرت (Descartes) من الداخل، مما نرى في هذا التباعد بينهما إشارة إلى اختفاء الإنسان كلما تراوح وجوده بين القريب/ البعيد، الخبرات/ القدرات بطرحه للزمن واللغة، لأنّ التفكير في اللامفكر فيه، هو ضرب لإثبات الزمن المستغرق من اللغة المتحدثة مع ذاتها في التفكير في لاشيء من خلال الكينونة لتصبح علامة على موت الإنسان في زمنٍ مشتت إلى لحظات لا تدرك لكنها شعورية، وبالتالي يصبح اللامفكر فيه وارداً في الحضور ويستحق التفكير.

ويزيد اهتمام فوكو بـ: كانط خصوصاً بتناوله له في كتابه: الكلمات والأشياء لقول الزواوي بغفورة: "حيث حلّله ضمن ابستمية التمثيل أو التصوير أو ابستمية العصر الكلاسيكي، وكذلك في ابستمية الإنسان أو العصر الحديث،..."⁵، وجه آخر للإقصاء، لكن هذه المرة هو إدراج المريض في قائمة المنحرفين، والذي يجب معالجته بعيداً عن المجتمع، لتكون تحليلات العلماء الذيناهتموا بالعلوم الإنسانية وخصوصاً الأمراض الإنحرافية كتمثيلات لإسقاطات لمواضيع ثقافية، بمثابة إجراء تغيير في تحليل الموضوع حول الإنسان الكائن ونعته بالانحراف.

ويُشدّد فوكو بالنسبة للمؤلف ألان بروسات (Alain Brossat) أن: "الرهان هو أكثر من اعتباره اجتماعي"⁶، فيتحدث ماشيري (Machery) على ضرورة إعادة البحث في الأصول الأنطولوجية الخفية للعلوم غير المفكر فيها كعلم النفس والطب والطب العقلي، والتي بالإمكان أن تحدد طبيعتها، إذاً، هناك ما يُعرف بالتجربة التاريخية للجنون والحجز والإقصاء خلال القرن الثامن عشر أدى إلى الاقرار بالحكم⁷ بظهور لعلم الإجرام والطب العقلي، ما مكّن العلوم الإنسانية أن تُعيد النظر في مواضعها عديمياً.

2- الكائن من داخل التمثيل

على الرغم من الجانب الداخلي الذي حَكَم الكائن ومنه قبلها الإنسان، إلا أنّ تشكيكه كان من الخارج، تضنّه الداخلي كان فقط في اللامفكر فيه (اللاوعي)، كان في صمت اللغة، كان في الجنون، إلى أن أسهم في إقصائه أمام لحظة واحدة من الزمن وسط التمثيل الكلاسيكي من لغة وحياة وعمل، فكان موته أولاً من الأشياء، لأن اللغة باتت تشغل الحواف من التفكير داخل خطاب تمثيلي (Représentatif):

انطلاقاً من العملية الاستقرائية التي تتبعها لكتب وأعمال ميشال فوكو (Michel Foucault)، لمسنا أنّ تفكير الواقع (Penser l'actuel)، كان ديدانه من خلال العمل على المؤسسات التي تشتغل على الثنائيات منها: السلطة/ المعرفة، الذات/ الموضوع، المرئي/ اللامرئي، الفعل/ ردّ الفعل، فباتت السلطة تشتغل على ممارسة تقنيات إصلاح المجتمع والفرد وليس قوة ردع. إنّ الإشكالية التي نتطّلع إلى مقاربتها مع هذه الدراسة من المقال حول مفهوم الرهان (Enjeu)، عند فوكو، هو حصرها في التساؤلات التالية:

- هل استطاعت الثقافة الجديدة التي حملها الفكر الغربي مع فوكو بالتحديد إلى إحداث ارتجاج في العقل الغربي؟
 - ما هو المنهج الذي حاول فوكو العمل عليه لتشريح مفهوم الرهان؟
- كل هذه التساؤلات شكلت أساس عمل هذا المقال.

1- إلى غاية كانط (Kant).

كان لا يزال الخطاب الفلسفي مرتبط بالتمثيل¹ من خلال اللغة والقدرة على التعبير والتواصل، تواصل داخلياً لمخاطبة الذات لنفسها، وانعكاسه خارجياً لمخاطبتها المنفتح والمختلف عنها، بحيث عرض لنا/ فوكو/ بدايةً لخطاب عدمي يستأصل القديم ويستحدث آليات للتخاطب، تكون من السلطة محل الدليل إلى ممارستها، لرصد منطقة اللامفكر فيه (L'impensée)، حيث التفكير في الجانب النفسي للإنسان يجعل الانتباه مركزاً على ثنائية الجسدي/ الذاتي، فنّ المقصود بالكوجيتو الحديث هو الإبقاء على أكبر مسافة ممكنة تفصل وترتبط بمقاييس الفكر الحاضر لذاته، وما يتجزر من الفكر في اللامفكر، وعليه وهو لهذا السبب عمل دائم ومستمر أكثر مما هو اكتشاف حقيقة بديهية أن يعبر ويضعف ويحرك بشكل صريح تفصل الفكر على ما ليس فكراً فيه وحوله وتحتته، وليس مع ذلك غريباً عنه، وذلك وفق خارجية لا يمكن تغييرها أو تجاؤها² بارتباط آخر، هو لثنائية القرب/ البعد بقراءة عدمية للفكر القائم وتحديد المسافة بينه وبين اللامفكر⁽³⁾ الذي لا يتوانى أن يكون هو كذلك فكراً بطرحه لمسألة القدرات في شكلها المنفتح بخلاف الخبرات الديكارتيّة ذات المنحى اللاشعوري/ النفسي⁽⁴⁾، وهو

عندما جعل من العلوم الإنسانية باختصار عنوانها: الوضعيات التجريبية أو بالأحرى مضامين المعرفة حول الإنسان بالوقوف على القواعد التي حكمت اللغة، وعلى الرغبة التي تسيطر وتسير الإنسان وبيولوجيته وبالقانون الذي يحكم الاقتصاد.

كانت لعبة التناهي والآخر، بالتوهم بضرورة اعتماد التخصصات كالتحليل النفسي والإثنولوجيا لاكتشاف دواخل المعرفة حول الإنسان، قد وقع معرفته حول الإنسان على الحواف، لاشك لوجود مناعة داخلية يصعب دواخلها ليكتشف الفيلسوف في تحليلاته حول التخصصين ما قوامه أن: "فكرة أنثروبولوجية تحليلية نفسية، فكرة لطبيعة الإنسان، لاسترجاع ملكيته بمعية الأنثروبولوجيا ما هي إلا رغبات (أمني) (vœux) بالطاعة (pieux) ليس فقط بالانتقال إلى مفهوم الإنسان، لكن لا يمكن لهما الانتقال من خلاله، إنهما يهتمان دائماً بها يشكل الحدود الخارجية".¹³ فهو قد تحدث عن خطاب الإنسان الأعلى، بحيث لا نرى إثارة لفعالية اللغة إلا عندما يستخدم دلالات لمعنى ذاك¹⁴، ذلك والأكثر لمعنى الإشارة للقريب.

دور العلم الوضعي في فرض سلطة ما، كان فيها الإنسان قاب قوسين كنتاج للسطوح الثلاث، حدث هذا داخل تمثيل العصر الكلاسيكي أو تمثيل آخر حُبك فيه الإنسان فكان مُعَيَّنًا من الخارج، ف: "بالنسبة للفكر الكلاسيكي، فإن الذي وجد التمثيل لأجله، والذي يتمثل نفسه فيه متعرفاً على ذاته في الصورة أو الخيال، إن الذي يحبك كل خيوط (التمثيل على لوحة) إن ذلك الشخص، لا يمثل هو نفسه أبداً داخل اللوحة لم يكن هناك وجود للإنسان قبل نهاية القرن الثامن عشر، ولا لزخم الحياة أو خصوبة العمل أو كثافة اللغة التاريخية، إنه مجرد مخلوق حديث أبدعه العلم منذ أقل من مئتي سنة، لكنه ما لبث حتى هزم بسرعة فائقة"¹⁵. فحتى داخل إنتاجاته الفكرية والخطابية، فهو غير موجود، لهذا كان إقصاؤه، ووضع على هامش المضامين من لغة وحياة وعمل، ثم تعريته من خصائصه والنظر إليه كآلة.

3- مضامين العلوم الإنسانية

لا شك، أن ضعفه قد أتاح إمكانية تجاوزه خارج الهامش، بتكالب مضامينه عليه، فهو غير موجود لا داخل اللوحة ولا خارجها، لقد أضعف من قبلها، لتحسيسه بأنه مجرد مخلوق سرعان ما يختفي¹⁶، فقط لأنه لم يملك قط

فبينما كان هذا الفكر يبحث دون كلل من ناحية الحياة أو العمل عن موضوع له أو عن صيغه المفهومية، أو عن أرضيته الحقيقية الأساسية، لم تعد اللغة إلا ابتهاها هامشياً، واهتمت خاصة بإزالة العوائق التي كانت اللغة تقيدها أمام مهمته، فكان من الضروري تحرير الكلمات من المضامين الصامتة التي ترتبها"⁸. هذا التحول من كائن ضمن الكائنات إلى ذات بين الموضوعات، من خلال اعتباره حقلاً للتجارب الأخرى من داخل الثنائيات المناقضة، والتي تشكل اللاقيمة الكائن الإنسان أمام هذا التضاد من إنتاج المعرفة، بحيث ربط الإنسان بالحدث هو أقل شأنًا، صف إلى ذلك، أن العلوم الإنسانية لا تستطيع أن تصبح علوماً عادية كما نظر إليها مؤلفا⁹ كتاب - مسيرة فلسفية - لأنها حبيسة لمختلف الازدواجيات.

لازال صمت الإنسان من خلال الحروف والكلمات المستعملة رهان يفرض على الإنسان للتحرر من عوائق اللغة وعلاماتها فكان الانكفاء على الأشياء مهمة سببية من اللغة وإغراءاتها، فيشير صمت اللغة إلى وجودها الهامشي من النصوص الصرفية والنحوية والتي تضمنت موت الإنسان نتيجة الإعجاب بها.

يمثل القرن التاسع عشر المنعرج لحلحلة مثل هذه الخطابات لتمثيلها عتبات أمام الفكر الفلسفي في علاقته بالسطوح الثلاث، وليس النص أو اللغة هي سبب هذا الانقطاع، وإنما هي الكلمة بحد ذاتها، ف: "أدت طموحات وتطلعات فوكو البنيوية به، إلى أن يلغي البشر والأشياء حبا في الكلمات، إلى أن يقصي الواقع، بمكوناته، ويستبعد كل فعالية إنسانية"¹⁰، فعندما بدأ بنيويا في تحليله للنسق وللمثيل، كان من أجل بيان تحليل التاريخ والنسق⁽¹¹⁾ والمنظومات المعرفية لعصر التمثيل أركيولوجياً، لأنظمة العلوم الإنسانية هي فراغ العالم من كل محتوى، ولاسيما من كل معنى للإنسان لأنه: "لا يعتبر ببساطة التمثيل أمراً خاصاً بالعلوم الإنسانية فهو كما سلف معرفته، كذلك حقلاً للعلوم الإنسانية، بعكس منظور التفكير المعاصر الذي لم يحط بأولويات التمثيل، فهو في المقابل يضم هذه العلوم"¹².

لا شك، أن مفهوم اللغة وإغراءاته على الخطاب حول الإنسان يمثل نسقاً يصعب التمكن منه لقوته على التأثير، جعل نيتشه يتساءل: من المتكلم؟ أو من المعني؟ لقد وقع المفكر ضحية أفكاره حول السلطة، وهي جنون الفكرة الواحدة المتسلطة (La Monomanie)

السطوح الثلاث بل من النسق، لقد بدأ كل شيء وكأنه منظم، بحيث استهوى الآخر، لا يحتاج إلى تفحص مبادئه إلى أن اكتشفت لعبة التناهي من حول الوضعيات التجريبية. لاشك أن خطاب العصر الكلاسيكي، كان قد حَبَكَ تقنيات جعل من اللعبة حول الإنسان تبدو منظّمة لسطوة السلطة من التحكم في مجريات اللعبة وميكانيزماتها، حيث يندھش الآخر ليس من التنظيم، بل من المنع والإقصاء اللذان مورسا في العصر الكلاسيكي: "ومن هنا تنشأ هذه اللعبة اللامتناهية من الإنسان ذات المضاعفة: إذا كانت معرفة الإنسان محدودة، فلأنه عالق، دون أمل في التحرر، في المضامين الوضعية للغة والعمل والحياة"¹⁸. لأن معرفة هذه اللعبة يكون بمعرفة عمل هذه المضامين لفهم أكثر لثنائية المتناهي واللامتناهي من خلال الانكفاء لدراسة فهم التجريبية الوضعية داخل حيز التمثيل أنتج خطابا حول الميتافيزيقا لكنها من نوع تجريبي الآن، بعد أن قوّضت الميتافيزيقا التوليدية، إذاً، هي لعبة، لم يع الإنسان تلاعبها فسقط في رهان اللاتناهي.

لقد أضحى الإنسان المضحّي به لأخطاء لم يرتكبها، بل أسهم في تخطئها فكان تأسيس المعرفة، الخطاب، العلم على حسابه، وفوق جثته، بحيث لا زال يموت كل يوم مراراً، ولم يستفد من الدروس، لافتتانه المتناهي ف؛ "كان خطاب ثقافة العصر الكلاسيكي منظماً بحيث لم يترك في فضائه كما يقول فوكو، أي حيز خاص بالتساؤل عن الشروط التي تسمح بإمكان المعرفة نفسها وتجعل التمثيلات ذاتها ممكنة، وباختصار لم يترك ذلك الخطاب أي مجال للتساؤل عن الذات التي تتوحد فيها تلك التمثيلات"¹⁹.

فتحت أحادية الخطاب المعنون بالأوليات التاريخية، حدد المجال المعرفي للعصر الكلاسيكي بتأسيسه على التنظيم الخداع لأنه لا مكان فيه للذات العارفة والفاعلة والواعية، فكلّاً من التمثيل والتنظيم خلقا خطابا حول إقصاء الإنسان والتعامل مع اللاوعي، أي مع الفرد، لأنه: "في أساس كل الوضعيات التجريبية وكل ما يبرز من حدود في وجود الإنسان، يكتشف التناهي ذاته: فهو يتمثل في حيزية (La spatialité) الجسد، وفي انفتاح الرغبة، وفي زمن اللغة، لكنه بالرغم من ذلك مختلف تمام، فلا تظهر الحدود هنا مفروضة على الإنسان من خارج (لأن لديه طبيعة وتاريخاً)، بل كتناء أساسي لا يرتكز إلا على وجوده، وينفتح على وضعية كل حد ملموس"²⁰. لا نرى في الإنسان سوى مظهر

تقنيات لفرض ذاته ولا موضوع يؤسس عليه دراساته ولا نتائج توصل إليها بمفرده سوى بإيعاز من العلم الوضعي فكان كائناً تجريبياً، ولم يمثل قط كونه ظاهرة، كونه لم يكن متميزاً بتفوق، فهو مجرد كتابة خطية لمصطلح نسيمه - إنسان -.

يُحْيَلُ فوكو تبعة المسؤولية لاختفائه إلى العلم التجريبي نتيجة فرضه للنظام والمعيار، ومنه أن التمثيل كان فرصة وإن كان سلبياً لتفكير حول اختفاء الإنسان وتدحرجه من الفرد إلى صنف الكائنات، كما يجب كذلك ذكر أن للحادثة، والعولمة، وما بعد الحداثة، وغيرها دور في تفعيل التمثيل، لكنه الآن من ضرب آخر، هو سيطرة هذه السلط المفاهيمية على فكره، وبالتالي انمحاءه، "وبذلك لم يعد التمثيل بالنسبة للأحياء والحاجات والكلمات ذا قيمة، بصفته مكان منشأ حقيقتهم ومركزها الأعلى، ولم يعد بالنسبة إليهم، ومنذ ذلك الحين، سوى انعكاس مشوش في الوعي الذي يمسك بهم ثم يرددهم، ليس على تمثيلنا الذي نصنعه للأشياء بعد الآن أن ينشر في حيز سيد لوحة تنسيقها، إنه، من جانب ذاك الفرد التجريبي الذي هو الإنسان، هو الظاهرة، بل أقل من ذلك، أيضاً، هو مظهر"¹⁷، وإن كان محور الظواهر التجريبية، فهو لا يمثل إطلاقاً ظاهرة، ولا يمكن اعتباره سوى مظهر، لأنه تشكّل خارجي، نعم، لكنه لم يكن متميزاً، أعلم لماذا؟ لأنه نشأ من ترسبات، لا يعلم مصدرها، فهي خليط من كل شيء، إذاً، التمثيل، أتاح هو كذلك لإظهاره كما باختفائه لقد انخدع بغيره أمام قهقهات مضامينه، نتيجة سذاجته بالوهم بوجوده. فسذاجته كانت باستغلال-الغير- إياه بأنه كان محور التجارب لإنتاج فضاء معرفي لكنه هجين، لأنه الكائن الوحيد الذي يتكلم ويعمل ويعيش، لكن ليس بقدر، فهو:

- يعمل حتى سلب منه وجوده، وعيه وإن كان

ظرفياً.

- يتكلم تحت لمعان كلماته فكان موته تحت الإغراء

والغواية لكثرة ثرائه المتكررة.

- يعيش، لإحياء حياة الآخر وديمومتها، الم نقل

أنه كان محل تجارب متكررة؟ نعم. فمفهوم النسق عند الكاتب، لا يخلو من التفسير البنيوي لمعنى اللغة، لأنّ الإنسان هو اللغة، لكن فاته أن يذكر بأن مكملات الإنسان هي سطوحه معا وليس اقتصاراً على اللغة دون الحياة والعمل، فـ فوكو لم يُلغ أي منها على الأخرى، بل يجعل الأولوية للغة أنها علامة على اختفائه، لكن الآن ليس من التمثيل من داخل

المختزلة إلى فرد بتحميله للثنية سبب نهاية الإنسان ونشوء الإنسان الكائن حيث: " ليس المشكل، بالنسبة للحفريات، هو نفي تلك الظواهر، ولا الرغبة في التقليل من فائدتها، بل اختبارها وقياس مداها، ما الذي يجعل ألوانا من الاستمرار والتكرار كتلك توجد، وكيف حدث أن وجدت ألوان من التسلسل الطويل أو الإنحاء التي تتجاوز الزمن"²³، فيبرز منهجه الأركيولوجي ليعين الاختلافات في ممارسة خطاب العصر الكلاسيكي حول الإنسان داخل ثقافة جديدة لم يتوان الفيلسوف عن تفكيكها لتحديد عمل الآليات التي اختزلت الذات من خلالها.

كتابه- حفريات المعرفة - هو بمثابة البحث في الطبقات لعمل الخطاب. لذا، نجده في أكثر من موضع لا يُلغى الأشياء على الكلمات، بل يؤسس الكلمات على حساب الأشياء والبشر، فهو بهذا، قد انخدع بالكلمة والمعنى لاختزال الأشياء والإنسان، أي ما تعلق به من عمل وحيوة. يظهر فوكو في كتاباته ومنها خصوصا، حفريات المعرفة أنّ خطاب المركز بات يتقهقر شيئا فشيئا والذي كفى استحوذته على مَرَّ عصورٍ سادت، " في ميدان يُسقط الذات من حسابه"²⁴ ليكشف عن أكبر جريمة هي التخلص من دور الذات كانت من إنتاج الثقافة الجديدة.

يتحدث عن الخطاب، وعن الفراغ، والأكثر نهاية العلوم الإنسانية دون تحديد تكلمة لملاء الفضاء، ربما هو يتحدث عن تحقيق الوعد الذي أخذته الأركيولوجيا لتحليل الكائن اللغة، الندرة والمنطوقات والفضاء، لأنّ: "العلوم الإنسانية لم تكن إطلاقا مثبتة، ما دام أننا لا نجدها في أي وجه آخر، لكن نجدها في فجوات الاختصاصات الأخرى"²⁵، فمن التصنيف إلى التنظيم للكائنات الحية، هي التحولات التي عرفتها الخطابات حول الطبيعة، جرى هذا مع كوفيه (Cuvier) لتحديد الاستعمال لهوية الخطاب انطلاقا من مفهومي هما العضو والوظيفة، فجعل هذه الأخيرة تتخطى وظيفتها التصنيفية إلى التنظيم²⁶ في طرحه لنظام الاستمرارية والاقطاعات كما يظهر في علم التشريح المقارن.

إنّ المنطوق وإن كان لا يساوي الوحدة في الخطاب، لكنه يُماثل الحدث الخطابي لاستعمالاته الكثيرة داخل الممارسات الخطابية، فـ فوكو لم يضع قواعد للخطاب بل أراد تفكيك التعاملات الخطابية بالوقوف على مختلف أشكاله.

ذكره لأعمال كوفيه كان انطلاقا من الممارسة الخطابية التي عرفتها البيولوجيا إلى غاية القرن التاسع عشر

ظرفي، لا يمثل أساسا ظاهرة متميزة، باعتباره تشكيل للوضعية التجريبية من مضامين ثلاث، فهو يعيش ويتكلم ويعمل ضمن حيّز، هو نفسه أغري بها أمام انسياب متكرر، بل يجد نفسه يقوم بها ألياً لاعتياده على ممارستها، لتُحصَر معنى الرغبة في العيش وهذا انتقاص، كونها تشير كما نرى إلى الممارسة الجنسية والتي تبلغ بالإنسان مرتبة النشوة الظرفية فيكتشف ذاته فيها في أنه لا يتميز عن الكائنات الأفي المدة والشدة والوضعية، لكن الكل سواء، وهذه رابعة تنضاف إلى السطوح الثلاث لتصبح مضامين أربع، لدى لا نعتبره ظاهرة، فقط لكونه غير متميز، فهو قد ارتكن إلى حيّز مشكل يحدد تناهيه.

إنّ تموضع الإنسان داخل الازدواجيات قد خلق خطابا موضوعه ليس الإنسان، بل هو الذي حرك لثقافة جديدة أصبح عنوانها الإنسان دراسة للبحوث وللوضعيات التجريبية، قد مكن في آن واحد، من الانكفاء على هذه الازدواجيات والعلوم على حساب الإنسان، فهو لم يكن يوما موضوعا ولا ذاتا لمضامينه ولعلومه، كون؛ "...إن نمط وجود الإنسان كما تكوّن في الفكر الحديث يسمح له بالقيام بدورين: فهو الأساس الذي تستمد منه كل المعارف إمكانيات وجودها، وهو كذلك حاضر، بكيفية لا يمكن اعتبارها خطوة أو امتيازاً، كموضوع من بين باقي الموضوعات التجريبية"²¹ فعندما توجهت الأنظار إلى الإنسان أعتبر ذاتا للبحث عن الحقيقة، وأتت بات موضوعه تجريبي بتشيينه دائما، فكان القرن التاسع عشر، عصر الإنسان، لأنّ فيه ظهر وفي نهايته تلاشي، ظهوره كان بموجب فرض لخطابه على الآخر وسط تباين الخطابات، لأنه؛ "وحسب فوكو دائما، إنّ كل خطاب لا يزال يعمل على إعادة إنتاج أحد تلك الأزواج، لا بد أن ينتهي بالضرورة إلى المأزق نفسه، لأنه يتأسس على قبول ضمني للفكرة الحديثة عن الإنسان"²².

نعتقد أنّ وجود الإنسان داخل هذه الازدواجيات يجعله أيلاً إلى التقهقر إلى أن يموت. لذا، وجب عليه أن يُغَيَّر من مناهجه وموضوعاته بما يتناسب معه لخلق خطاب آخر يحول عن اختفائه، فبمجرد الاستغناء عنها، يجعله يفقد هويته وذاته، هو يريد تأسيس لفكر الثقافة الجديدة.

في تحليله لخطاب موت الإنسان يربط بين السطوح الثلاث من لغة وعمل وحيوة وبين الازدواجيات الثلاث بأنّها معلم على تقهقر الإنسان وأتت لم يبق من خطابه إلا هذه الذات

نفسه قد بدأ من نقطة الصفر.. ما يجعل من تطوره مستحيل، فيسبي بغورة بأن وجودها كان ضمن ميدان وضعي للمعرفة أي برأينا حقل للتجارب لتأسيس المؤسسة.

4- مشروع الثقافة الجديدة

لا شك، أن ارتباط التاريخ بالمضامين الثلاث، قد حدّد الإنسان في مجال ضيق ضمن فكرة تناهيه، ورغم هذا، فُربه من الاختفاء هو وارد لكنّه غير مُحتمل، «لأنّ المشروع ذاته لا يزال خاضعاً لعقلانية الخطاب اللامتناهي، لا يزال ميتافيزيقياً كلاسيكياً..»³³ على الرغم من الحداثة التي عرفها الفكر الغربي.

بات دور الأركيولوجيا هو بناء المتقطع من الخطابات حول الإنسان وحدثه، إتاحة للمسكوت عنه الإفصاح عن الضمني وعن المُتبقى والهامشي، هي دراسة للمفاهيم³⁴ كالمتناهي، اللامتناهي، موت الإله، موت الإنسان، بقاء الإنسان الأقوى المحدد للآخر ولخطاباته وتاريخه، ومنه فداخل هذه الشبكة المعقّدة من الأنظمة المعرفية، كان هو الإنسان المقتول (الشهيد) مع فلسفة الحداثة فـ« بالنسبة لينتبه أخيراً، موت الإله يعني نهاية الميتافيزيقا، لكن المكان يبقى شاغراً، وليس الإنسان مطلقاً هو الذي يتعرّش مكان الإله»³⁵، وبالتالي ما يهيم الفلسفة حول العلوم الإنسانية ليس ملأ الفراغ، وإنّما إتاحة الإمكان للتفكير من هذه الفسحة، ليكون فوكو آخر حلقة فيمشروع غيبته.

لقد أدرج نيتشه منعرجاً آخر أساسياً، هو الثقة الغائبة والتي سحبها الفيلسوف الألماني من الإنسان بمجرد موت الإله. لذا، هي بداية لتأسيس خطاب ما فوق الإنسان أو الإنسان الأعلى.

تحكم الإنسان ثنائية هي متمفصلة بين الخارج المتعلق بإستمولوجيات العلوم كالبولوجيا والاقتصاد السياسي واللسانيات، ومن الداخل المنفتح على عامل الندرة ممّا يجعل من إمكانية التحقق متعذرة، ليكون الخارج كله فراغاً قاتلاً ومُميّتاً، يتعذر تحقق شكل الإنسان فيه أمام حيز نادر لقوى الداخل هو تمزّق هذا الكائن.

يقيم صفدي خطاب العلوم الإنسانية على أنّها رهنُ التناهي كمفهوم إجرائي تقني يفصل الداخل عن الخارج، ليكون تشكيل كلّ من، الداخل، الخارج، السلطة والمعرفة فضاءً معرفياً للمتناقضات حول تناهي الإنسان وتميّزه المعرفي بدءاً بعصر الحداثة.

للقوف على التطور في الخطاب²⁷ صف إلى ذلك، أنّ ظهور الإنسان كموضوع للمعرفة كان ييعاز من الزمن لأنّه: "بهذا المعنى، الإنسان كان مهيمنا من العمل، الحياة واللغة، فوجوده الحسي انطلقاً من هذه المضامين قد حددت تناهيه، ولا نحصل على وصوله إلى هذا، إلا من خلال كلماته، أجهزته، مواضعه التي صنعها"²⁸ ممّا يجعل من وجوده من خلال الزمن، أنه مُحدّد بنهايته.

عادة تكون المنطوقات باسم العبارة وعادة باسم التصرف لكن مهما يكن وجدت لوصف تبعثر الموضوعات، التمكن من الفجوات داخل الموضوعات، قياس المسافات بداخلها، وتشكيل قانون للتوزيع، يذكرنا هذا برأينا بفكرة هيجل المؤسسة على الفكرة وتداولها، ثم المرور منها إلى النقيض منها، ثم التركيب بينهما: "وهي ليست وحدة (Unité)، ولا تهتم باللغة ولا بالمعنى، بل هي وظيفة تقف على علاقاتها مع وحدات الخطاب، فتعمل نفسها على إظهار الاختلافات"²⁹ وهي الطريقة التي تظهر بها الخطابات لتعلقها بقانون الندرة³⁰ عندما حلّ الاقتصاد السياسي محل تحليل الثروات في دراسته لأدم سميث (Adam Smith) وريكاردو (Ricardo) للعمل والإنتاج والريع، ومن خلال هذه المجالات المعرفية الجديدة، نشأت العلوم الإنسانية (Geisteswissenschaften)³¹ فهي؛ "كمجموعة من المعارف لكن حتى هاته العبارة قد تكون أقوى مما يجب، لنقل بالأحرى، لنبقى دون تحيز، هذه المجموعة من الخطابات التي موضوعها الإنسان بما له من خاصية تجريبية"³²، إذأ، فهو نتاج نقد العقلانية التجريبية ومنه وجد داخل الوضعيات التجريبية في تاريخ الثقافة الغربية.

علاوة على ذلك، ما يجعل من صعوبة تموضع العلوم الإنسانية أنّها قد تشكّلت ضمن مختلف إستيميات عصر التمثيل للعلوم الطبيعية والتجريبية وحتى الفلسفية، ممّا يجعل من الصعب تحديد موضعها، لذا، عدم ثباتها هو وارد من داخل الإستيميات.

لقد ذكرنا في البدء- التشكيلات الخطابية- لتكوّن العلوم الإنسانية، مما يجعلها تُكوّن قرابة مع إستيمية العصر الحديث من خلال مضامين الإنسان الثلاث، غير أنّ ما ذكره فوكو هو نوع من الارتقاء للتسلسل، لأننا أمام إستيميات منها القرون الوسطى، عصر النهضة، العصر الكلاسيكي والعصر الحديث خلق منها مصادرة يصعب الانتهاء منها، وكل مرة يحاول فيها الإنسان أن يستقل بنفسه وبعلمه يجد

المؤسسة (السلطة) بأنّ المشروع يكون في خلق تصور جديد للإنسان، وبالفعل جاءت انتفاضة³⁸ 1968 بفرنسا لتبيّن فشل مشروع الحداثة.

لا شك أنّ الاحتباس الفكري للعلوم الإنسانية قد تأتي من عجزها عن الاهتمام بنفسها وابتعادها عن أرضية خصبة للإنتاج المعرفي حول الإنسان، حول الوعي، الحرية، التحول، كل هذا حال عن تقدمها لأنها غير مُمنهجة، فوسط هذه الفوضى، إنجس الإنسان.

لو مَسَحْنَا علم النفس وغيره من العلوم الاجتماعية، نجد أنّ البحث في الخطاب كان من الخارج، فعلم النفس وإن كان لم يهتم بقوة بالمشاكل النفسية والحالات الإنسانية، إلاّ أنّه سَلَطَ الضوء على وجودها والأكثر على وجود ما نسميه "الإنسان"، لقول فوكو: «تحدث اعتيادياً عن فقر الفكر الفلسفي، عن حكم مُستوحى من المفهوم الرّجعي (Dépassés)»³⁹، بحيث استقر الأمر على أنّ النزعة الإنسانية هي هَجِينٌ من العلوم. لذا، نجدها فقيرة المنهج والموضوع رغم التنوع الآتي من الخارج نجم هذا عن عدم تحديدها لدراسة معمّقة للخطاب حول عمق الإنسان.

بداية التفكير ضمن هذا السياق، لا يكون إلاّ بتحميل الميتافيزيقا بعبء المسؤولية الناتجة عن هذا الاعتقاد الجاف جعل منها علوماً بورية، حيث لا يتقاعس عن تحديد مجال خطاي آخر هو مشكلٌ من الإثنولوجيا، اللسانيات وعلم النفس، والمتزامن بنقده المفاهيم السابقة.

5- هل العلوم الإنسانية، هي علوم الإنسان؟

لقد ذهب فوكو أبعد في البحث عن معالم للنزعة الإنسانية في كل العلوم السياسية، الأدبية والتاريخية وحتى الاجتماعية حتى يتسنى الربط بينها وبين أحقية النزعة الإنسانية، لكن هذا لم يدم إلاّ برهة فقط، تحتم البحث عن خطاب آخر يُقضي الإنسان، فنجدته قد رفض كل إستومولوجيا مؤسسة على الإنسان أو التاريخ والواقع، فتفضيله للأركيولوجيا كدراسة ومنهج تبحث في القواعد والتمفصلات لتحديد نسبة المعارف العقلية لكل حقبة تاريخية، فهي تمثل البحث عن الشروط القبلية والتي جعلت المعرفة ممكنة أثناء توظيفها للخطابات والممارسات الثقافية، فهدفها تحديد القواعد التي تحكم الخطابات.

تبيّن لنا موت الإنسان أنّه كان نتيجة التغيّر في ميكانيزم الخطاب، وكيف انتقل هذا الخطاب من المدح

تحدث عن وجود إنسان داخل إنسان، لكنه يُعاني التمزّق جرّاء عدم مطابقته لقوى الخارج، فهو موضوع الحيز، لقوة قوى الخارج عليه وبالتالي، الداخلة المتمثل في ذاته المكوّنة من: التخيل، الفكر، الذاكرة، نجدتها لا تُعبر عن نفسها إلى الخارج، ما يجعل من أنّ الإنسان ما وجد أصلاً ولن يوجد أبداً، ومنه القاعدة التي يتطلب الارتكاز عليها لتحقيق الداخلة لقيت ممانعة من الإستومولوجيات المعرفية لعلوم الاقتصاد، البيولوجيا واللغة.

إذن، موت الإنسان وإن كان قد تحقق ضمن الثنية، فهو أكثر قد بدأ من الداخلة نتيجة مخيال الفرد الجنوني قد أدى به دوماً إلى الزهو (La vanité) بذاته نتيجة كبريائه، ولاسيما عَجْبُهُ المتزايد بمركزيته، لقول مونتايين (Montaigne): «...إنّه الإنسان، وما يتعلق بكبريائه [...] وبالغضب لنفس المخيال بتساوي بالإله»³⁶، لكون التمثيل أصبح رمز الغواية للفكر المعاصر من خلال ما حكم النزعة الإنسانية أثناء سبات أنثروبولوجي خلف وراءه الإيمان بالمأل (الإجراء) داخل العقل التحليلي المؤسس على الطبيعة مع القرن السابع عشر، وللفكر الجدلي مع القرن السادس عشر حدث هذا دائماً داخل التاريخ، الفرد والمجتمع، لكن مثل هذا التصرف للفكر الجدلي والعقل التحليلي أنّهما كثنائية لم يصلا إلاّ إلى جزء ثانوي من معرفة الإنسان، ليكون إدراك الإنسان غير وارد ضمن هذا التداخل لحقل المعرفة.

يذكر هابرماس (Habermas) أنّ بممارسة الفيلسوف لـ التاريخ الرسمي للجنولوجيا (Historiographie) (généalogique) قد نزع الطابع السري أو الغامض الذي ظل لعصور يكتنف مجال العلوم الإنسانية. مفهوم الطمي قد شكل مجموع المعارف غير المرغوبة، والتي سبق أن أُلقيت ضمن هذه الكوة على الهامش، لأنّها بنظر السلطة أضحت مرفوضة، لكن عندما نستنطق هذه الحقبة من تغييب الإنسان، نجد أنّها كانت تُشكّل بحق منازعاً للسلطة الكلاسيكية (الشمولية والأحادية) حيثانظر إليها كترسبات يعني الطاعة للمرئي من السلطة؛ "بعد أن كانت آلة للمعانة [...] ولم تعثر على قوتها إلاّ في الخشونة التي فرضتها والذي منه تكون مقاومتها لكل من يحتويها"³⁷، فيذكر هابرماس أنّ تفتيش الطبقات المتراسة (Strates) كان بممارسة منهجه في البحث وهو التاريخ الرسمي للجنولوجيا، ما ساعد على ترسيخ التفكير في ضرورة إجراء فض المدّس وتحليل اللامرئي من

وإنما رصد العمليات والتي منها يتحدد الخطاب العلمي، لمواضيع يمكنها الظهور، مفاهيم بإمكانها أن تؤخذ محمل العمل ولنظريات يمكن أن تبنى⁴⁴، فنجده يتتقي للمصطلحات أقرب إلى اللغة المتخصصة لميدان بحثه ليجهل معنى ما يحوم حول العلوم الإنسانية.

تتحدد طريقته في التحليل على كل ما يتعلق بخطاب حول الإنسان من مثل: التغيرات، الاختلافات، العمليات، الترتيب، القواعد، العتبات الإستمولوجية، ليس بغرض الوقوف التاريخي للبيولوجيا، بل هو أكثر، الاهتمام بنوعية الخطاب، إذأ، هو المفكر التمهلي لفعل الممارسة الخطابية الذي يُجزأ الثنية المركبة من الخارج والداخل لعمل العضو، ولتركيبه عمليا لعله يقف على القطائع البيولوجية أكثر. لقد بين دريدا (Derrida) بالاعتماد على الكلمات والأشياء لتحليل السطوح الثلاث أن تشكّل الإنسان كمجرد كائن كان من الطبيعة، وأنّ العمل قد تشكّل من دونه بقرون عديدة، أما لغته فجزء منها.

6-تموضع الإنسان من خلال خطاب الندرة

ننظر إلى فكره من خلال قانون الندرة والكثرة، فهي ندرة، لأنّ اقتحامه لهذه المواضيع حول العلوم الإنسانية، يجعلها متميزة وبالتالي تنوع مجالاتها لارتباطها بوقائع نادرة⁴⁵. إنّ ربط البيولوجيا بالكائن الفرد أوقفه على تحديد عمل ميكانيزم التاريخ والجنسانية والموت من خلال دخوله كخطاب مفاجئ (Irruption) في القرن التاسع عشر، لتحضن الفلسفة هذه التغيرات بقوة ضمن خطاب تجديدي، تأهيلي من داخل العلوم الإنسانية، لتشريح سلطة البيولوجيا والوراثة بكشف عملها في خلق الإقصاء والمنع.

نعود إلى مفهوم الثنية الذي تكرر في خطاب العلوم الإنسانية لدى الفيلسوف، والمؤدي إلى اختفاء الإنسان كلها تعلق بها، حيث؛ "كوفيه بين من أي الطرق تم توظيف لشروط الوجود، الفرد في وجوده الواقعي، في حياته، ليس شيء آخر أكثر من جملة من الأنبيء في أن لعلم التصنيفات وللتشريح، الفيزيولوجي، هي نفسها حاضرة بشكل أو بآخر في الفرد، في داخل الواقع المعطى"⁴⁶. فتوظيف التصنيف والترتيب بالنسبة للفلسفة البيولوجية لـ كوفيه سمح لفوكو بفهم طبيعة الخطاب الجمالي لأعضائه الداخلية والخارجية، والمتأني في علاقة الفرد بوسطه الطبيعي الخارجي خلق بنية عضوية لها علاقة بالتصنيف، والترتيب والتنظيم وحتى

للنبلاء والتأريخ لهم إلى خطاب آخر للمجابهات وفضح هذه الأوهام من حقيقتها خلال القرن الثامن عشر، لقوله؛ "يتعلق بتكتيك الخطاب، وجاهزية معرفية وسلطوية، وبوصفه كذلك، تحوّل إلى قانون لتشكّل المعارف، والشكل المشترك"⁴⁰.

أول إحقاق كان للإنسان الكائن، هو ملؤه للفراغ بعد انسحاب موت الإله، فكان تراجعاً في شكل الهوية عندما ارتبطت العلوم الإنسانية باللغة من خلال اللاشعور فـ "في موت الإله أخذ يتكلم، يفكر ويوجد، بما أن قاتله نفسه اعترف بموت آلهة جدد، استحوذت نفسها على أفاق المستقبل: الإنسان سيختفي"⁴¹، بحيث لازال الإنسان إبداع لمضامينه من لغة، حياة وعمل وربما للرغبة، والآن بدأ يأخذ إثبات فساد اللاتناهي الأقنوم (الإنسان) لم يعد يتحدث لأنه فقط يثرثر ولا يعلم ما يقول لأنه يقول أشياء كثيرة، أما عمله لا يدل على وجوده لأنه جرد من كيانه وهويته، وأما هذا الجسد المتحرك هو لا يعني ذاته، فهو الكائن الآلة، ونرى في الرغبة أنها مجرد توهم بعموم المنفعة، لكنه يستعمل من الآخر (احتوائه).

إنّ فهم مضامين الإنسان من خلال سطوحه الثلاث يتوقف على وعي ظهور الإنسان ضمن هذه الثلاثية من لغة وحياة وعمل بالرجوع إلى أعلام هذه التخصصات، لأنه بدايةً، تشكيل البيولوجيا كان بالاهتمام بالتصنيف والترتيب مع كوفيه كبادر لتشكيل العلوم الإنسانية المرتبطة بالتنظيم والقواعد والتصنيف والتي هي بدورها خلقت تميزاً بين المتفوق بيولوجيا والأدنى وراثياً، سمح هذا بخلق العنصرية بزيادة تغذيتها وهذا ضمن عنصر التطور والارتقاء ومنه إلى الإقصاء، "هناك إذا، بالنسبة لداروين حقيقة، هي الفرد وحقيقة ثانية هي الاختلافات (Variativité)، قدرته على التغيير"⁴² في طرح داروين (Darwin)⁴³ للتغيرات التي تطرأ على النوع وخصوصاً الإنساني، فيوظف الفيلسوف نظرية التطور لرصد الاختلافات في تطور الخطاب، وهو عرض لرؤية كوفيه في البيولوجيا والتي تأسست على عتبتين ابستمولوجيتين هما:

= أنطولوجية الكائن من خلال تطوره البيولوجي.

= ابستمولوجية الصنف.

فوقوفه على هاتين العتبتين، كان بقصد تحليلهما لبيّن تموضع الخطاب وتغيراته فبالنسبة إليه: "مستوى وقوفه على -الخطاب- ليس من منظور المفاهيم، النظريات

فمفهوم الهزات عند الفيلسوف هي بمثابة المحرك لهذا الاضطراب الذي سوف يؤدي إلى تبني الحدث كبنية تحكمه. لذا، وجوده مرهون باختزال الإنسان الكائن إلى ذات ومنه إلى إلغائها.

خاتمة.

إنّ تعشيق (Emboiter) فوكو بين الإبتيميات المعرفية لظهور الإنسان واختفائه كان ضمن تحليل معنى - الحلقة المفقودة - التي كوَّنت العلوم الإنسانية، ولا شك أنّ معنى الحلقة، هي إتاحة الرجوع لمعنى البنية، لكن على شاكلة تحليل أدوات بناء الخطاب بالرجوع إلى ثقافة الإنسان الغربي ومؤسساته، حيث ممارسة الموت الاجتماعي انطلاقاً من المؤسسة ومن مضامينه هو تصميمٌ متميّز للسلطة البرجوازية، فقد تكلم الفيلسوف عن أخطاء السلطة بجرأة فائقة لتصحيح الإنسان من داخل الثقافة الغربية.

لقد اتخذ الفيلسوف من تحليل رهان العلوم الإنسانية والتحدي المفروض عليها من الخارج من العلوم التفسيرية بالأخص يمثل من وجهة نظرنا ملامسة ساحة الاهتمامات بالعلوم الإنسانية والرهان الذي يفرض عليها لتغيير مناهجها ومنظوماتها المعرفية.

إذن، هل استطاع بناء نظام معرفي يكون فيه الخطاب حول العلوم الإنسانية ممكناً؟ وهل يمكن العمل على مشروع فوكو في الدول العربية بتنبؤ عملي حول استبدال ثقافة الربيع، بثقافة الندرة؟ لقد أبان الفيلسوف عن فشل الفكر الغربي لتحقيق الإصلاحات خصوصاً أحداث ماي 68، وهو بداية لمنعرج تاريخي حول التشكيك في النظام وفي فشل الحداثة، وهذا يصلح أن نقول أنّ أركيولوجية العلوم الإنسانية تستطيع تفكير مساحة الماحد والمايحدث في الدول العربية كما حدث في تونس 1969 وفي الثورة الإيرانية 1979.

القواعد لمساهمتها لفهم الفرد فرديته، هنا، تظهر بوادر نشوء وتشكيل العلوم الإنسانية من الخارج بالاعتماد على طرفين لتأسيس معرفته هما:

= العلوم المتحجرة (Paléontologie) التي تجعل الفرد في سلّم ما تحت الفردية لنشوء أعضائه.

= دراسة العضو وتشكيله وجماليته (Anatomie comparée) بالاهتمام بالتصنيف والترتيب والتنظيم من خلال الموقع الذي يوجد فيه.

يتابع فوكو حديثه بعمق حول القطاعات التي حددتها معرفتنا الخاصة من خلال بداية المعرفة الخاصة لتأسيس بداية المعرفة العلمية لـ (Genre) ذات المعنى الأنطولوجي بخلاف (Espèce) كحقبة ابستمولوجية. فيظهر بالمفكك والمحلل للقطائع وللمعرفة لتحديد نوعية الخطاب، فهو يرجع دائماً إلى كل العلائق التي تربط الإنسان بمعرفته وفرديته من خلال بناء وإعادة بناء وتفكيك فقط ليحدد تموضع العلوم الإنسانية من العلوم الأخرى⁴⁷، لنجد أنّ تحليله للخطاب قد أوقعنا نحن كذلك في غواية الخطاب الفوكوي الذي يحلل ويفكك ويعتمد على العلوم القريبة والبعيدة ذات العلاقة الوثيقة بالإنسان، فتعد البيولوجيا ضمن التصنيفات المرتبة عند أوغست كونت (A. Comte) لقب الظواهر التي تدرسها من الإنسان، مما يحيل إلى أنّه كلما اقتربت الدراسة الوضعية من الإنسان كلما وجدت نفسها أمام ظواهر أكثر تعقداً.

عندما تحدثنا عن إشكالية موت الإنسان، حددناها انطلاقاً من تصورنا لمسألة الموت أنّه ليس مُعطى نصّي ولا تصريح علني في تحليلات ميشال فوكو سواء في كتابيه - المراقبة والمعاقبة-أو-الكلمات والأشياء-لأنّ اهتماماته كانت - للحظة- التي طالها دأب الفيلسوف عن البحث بداخلها لأنّها شكّلت المسكوت، كما تمثل المساحة لإعادة التفكير. فباختفاء عصر الأنثروبولوجيا حلّ التمثيل وسط الاضطراب باختفاء الذات واختزالها، كان هذا من داخل الثنية لذا إعادة التفكير في تشكيل إنسان المعرفة أصبح غير ممكن سواء من الداخل أو حتى الخارج لأنّ الأخلاق التي أسست لنهائته، هي نفسها التي تُراهن بعودة الإنسان الأعلى (لكن الآن بأخلاق الأقوياء...).

الهوامش

- 1- و: "في فترة من تاريخ تكوّن الثقافة، هناك إستراتيجية واحدة حدّدت الشروط الممكنة لكال معرفة"، Cf. Pierraggi Henri Ange, Représentation, Stéfán Leclercq, ABéCéDAIRE, édition : Sils Maria, Belgique, Mai 2004, p.159.
- من خلال المراحل التي مرّت بها الثقافة، فإلى غاية نهاية القرن السادس عشر كان التشابه (La Ressemblance) هو المُكوّن للمعرفة، حيث التمثيل أعطى كتنكرار دون تحديد الاختلاف بين أشكال المعرفة.
- Cf. Foucault Michel, Les mots et les choses, Nrf, Gallimard, Paris, 1966, p.32.
- أما خلال القرن السابع عشر، بدأ الحقل المعرفي يأخذ شكله من مستوى التشابه إلى معنى التماثل و: "بدون تقارب الأشياء فيما بينها..".
- Cf. Foucault Michel, Ibid., p.69.
- وهنا تشكلت ثقافة جديدة لكل عصر وخاصة بكل فترة زمنية، ما أعطى للتمثيل خاصية الهوية والاختلاف، حيث عُدّ التشابه جوهر التمثيل في عملية أعطي فيها التفسير والتأويل للنصوص شيء كبير، وسرعان ما عرفت العلوم الإنسانية هذه القفزة النوعية من مستوى الكيف إلى مستوى الكم بانتقالها إلى أن تصبح علماً دقيقاً، وهنا يظهر تحدي (Le Défi) العلوم الإنسانية، ولكنها في كل مرحلة تحاول فيها أن تصبح علماً دقيقاً تكون قد فقدت حلقة من حلقاتها وهي الكيف.
- يمثل التمثيل شكل من أشكال تبادل الأدوار واستمرارها داخل معنى النظام والتصنيف والترتيب، وهذا من داخل الرياضيات ن وهنا تكون العلوم الإنسانية من محاورها الثلاث وهي: اللغة والعمل والاقتصاد غير محتواه داخل هذا النسق، بل أن ظهورها كان بطريقة غير واعية.
- 2- فوكو ميشال، الكلمات والأشياء، تر: مطاع صفدي وآخرون، د. ط. د. س. ن، ص 268.
- *- اللامفكر هو البعيد والقريب وهو الخارج (Le Dehors) لأنه الأقرب من العالم الداخلي نفسه وهو البعيد من الخارج نفسه.
- أن تفكر يعني تجد تطابق بين الداخل والخارج في قصيدته.
- ** - لم يتجاوز فوكو مصطلح اللاشعور، وإثما بيّن تناقضه إلى حدّ اعتباره مرتبط بالكيفية التي أختزل فيها الإنسان داخل العلوم الإنسانية منها: التحليل النفسي- الطب العقلي- اللغة.. بخلاف ديكرت الذي رأى في اللاشعور أن الإدراك يتجلى في الطابع النفسي للإنسان أي يماثل النفسي للروحي، وهذه منقصة عبرت بنظر فوكو عن نوع من الكوجيتو المعرفي الديكارتي الذي كبّل الإنسان داخل كثافة من الترسبات هي أقرب إلى: الإشارة- العلامة- اللغة في شكلها الكثيف.. وهي لا تؤدّي إلى تأكيد الكائن. لقول فوكو في كتابه: Les Mots et les Choses
- " Le cogito ne conduit pas à une affirmation d'être, mais il ouvre justement sur toute une série d'interrogation ou il est question de l'être . "
- Cf. Michel Foucault, Ibid., p.335.
- 3- بغورة الزواوي، "مكانة الانطولوجيا التاريخية في الفلسفة الكانطية"، مجلة التدوين- تصدر عن مدرسة الدكتورالية للعلوم الاجتماعية والإنسانية- جامعة وهران، العدد 04، ديسمبر 2012، ص 24-36.
- 4-Brossat Alain, Les Hommes De Poussière, At-TADWIN, Revue Annuelle Publiée par l'école Doctorale en sciences sociales et humaines- Université d'Oran, Numéro 04, Décembre 2012, p.13— 23.
- 5- Cf. Foucault Michel, Moi, pierre Rivière, ayant érogée, ma mère, ma sœur et mon frère, éd : Gallimard / Julliard, 20 octobre 1981.
- 6- فوكو ميشال، المصدر السابق، ص 254.
- 7-Cf. Dreyfus. H et Rabinow. P, Michel, Foucault : Un parcours philosophique, trad : Fabienne Durant. Rogeart, Nrf: Editions Gallimard.
- 8- الدوي عبد الرزاق، موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر، دار الطليعة للطباعة والنشر- بيروت، د. ط. د. س. ن، ص 152.
- *** هي بمثابة الوقائع الخطائية وهي الحدث، يعترف فوكو بأن ظهور النبوية كان بارزا على فكره، من خلال ضرب من الإغراء الذي عشناه، وهو ما اخترقنا في الصميم، ما يوجد قبلنا، وهو الذي يشدنا بقوة داخل تاريخية جامدة هي الزمان والمكان، لذا، فلسفة فوكو هي الحدث، وهي لا تختلف عن النبوية إلا في إقصائها للتاريخ، في إفراغها للعلوم الإنسانية من الحدث، لهذا، موت الإنسان كان حدثاً أتاحتها العلوم الإنسانية لرصد التحولات التاريخية للحدث وللنسق وللإنسان وللذات وللأشكلة (Dispositif) وللجنس وللممارسات الخلقية: (أنظر أكثر الفصل الخاص بالممارسات الجنسية لإنتاج الخطاب وظهور مؤسسة التحليل النفسي).
- Cf. Foucault Michel, Naissance de la clinique, édition Quadrige, Paris, 1997, p. XIII.
- 9-Foucault Michel, Les mots et les choses, Idem., p. 375.
- 10- Ibid., p. 390.
- 11- يتحدث فوكو عن علوم إنسانية على وشك التبعثر قريبا، عندما يستعمل دلالة اسم الإشارة للقريب "ذاك"، في حين يستعمل هيدجر اسم الإشارة "للبعيد" "ذاك" لتضمن فعل المنفتح والكينونة على الآخر.
- 12- فوكو ميشال، المصدر السابق، ص 257.
- 13- تُحدّثنا لوحة المينين (Ménines) بأن الوجود المجهول لكاتب اللوحة ومرسمها، قد أقصى نفسه بذاته عندما جعلها مندمجة مع روحه ووعيه، وبالتالي تعذر استنطاق اللامفكر فيه، لأنه أصلا كيف يكون تفكيراً، وهو عدم، وهو قابل لمفكراته.
- 14- فوكو ميشال، المصدر السابق، ص 260.
- 15- المصدر نفسه، ص 263.



- 16- الدّوي عبد الرزاق ، المرجع الأسبق ، ص 161.
- 17- فوكو ميشال ، المصدر السابق ، ص 261.
- 18- المصدر نفسه ، ص 335.
- 19- الدّوي عبد الرزاق ، المرجع السابق ، ص 165.
- 20- فوكو ميشال ، حفريات المعرفة ، تر: سالم ياقوت ، ط 1 ، الدار البيضاء (المغرب) ، المركز الثقافي العربي ، 1986 ، ص 166.
- 21- المصدر نفسه ، ص 175.
- 22- Marietti Angèle Krimer, Michel Foucault : Archéologie et généalogie, Paris ,éd : Seghers, 1985, p.13.
- 23- Cf. Foucault Michel, Les mots et les choses, ibid., pp. 275-276.
- 24- فعلى يد لامارك ((Lamarck تم إقصاء التاريخ الطبيعي المؤسس على تصنيف الكائنات على عكس البيولوجيا التي اتخذت من التنظيم تأسيسا لها مع كوفيه.
- 25- Foucault Michel, Ibid., p. 290.
- 26- Foucault Michel, L'Archéologie du savoir, Nrf, éd ; Gallimard, Avril 1996, p.121.
- 27- تعني أن الكل الذي لم يبحث بعد.
- 28- والتي تطورت لاحقا إلى علوم الفكر ، فهي تبحث في الثقافات ، المؤسسات ، السلوك الفردي.
- 29- فوكو ميشال ، الكلمات والأشياء ، ص 283.
- 30- المصدر نفسه ، ص 08.
- 31- أنظر أكثر:
- صفدي مطاع ، نقد العقل الغربي ، الحداثة وما بعد الحداثة ، مركز الإنماء القومي - لبنان ، د. ط ، 1990 ، ص 270. لقلوه: " ذلك أنّ الأركيولوجيا ههما أساساً الكشف عن علاقات القوى، ومطاردة الأقنعة التي تخفي السلطة وراءها وجهها الحقيقي خلف الوجه المعرفي" ، فنجد أنّ فوكو يربط بين الأركيولوجيا وتحليل الخطاب فهو يتخذ منه لتفكيك عمل الخطاب وبناء مستمّر باليات نرى فيها أنّ الإنسان وجوده منها هو هامشي ومستبعد على الدوام حتى في عصر يُعرف بالأكثر تطوّراً.
- يُعد فوكو مخاطباً للنصوص حول الخطاب بأنّ تستنطق نفسها من خلال جعل النص يتحدث بما فيه من رموز ولغة تعبران عن قيمة الإنسان بداخله ، بالكشف عن الظاهرة في تطبيقاتها لأنّها:
- تُمارس لإذلال الإنسان وإهانته من خلال حملته على الاعتراف بخطئه أو عدمه.
- حول الآخر يعي أنّ لا خطاب سوى خطاب السلطة.
- تحليل خطاب العنف والتعدي واللاإنساني في النظر إليه كصنف كائن.
- اللاعادلة الطبيعية في إقصائه من خلال الممارسات التي فيها إهانة.
- السلطة ديكتاتورية مرئية ، يُمارسها الإنسان الكائن المُكلّف على مثله من الأصناف.
- لقد ثبت أنّ السلطة لا تُحبذ المختلف حتى ولو بالرأي ، فكان هو "الواحد الذي لا مركز له ، ويُفضل الهامشية على المجتمع" فكان نكرة لكونه درأ فجأة ، فنشأ هامشياً ، فهو خارج نظامه المعرفي لأنّه فقط أراد أن يكون مُتناهياً مثلهم يُحدد الخطاب كما يحددونه ، ويُمارس سلطته كما يراها هو على شاكلته وتحت لا تاريخيته ، فكان هو الشخص ، لا ذاتاً ولا فرداً.
- أنظر:
- صفدي مطاع ، المرجع نفسه ، ص 290.
- 32- Foucault Michel, Dits et écrits : 1954-1969, in Daniel Defert, François Ewald et Jacques Lagrange, Tome I, Paris, Nrf: Gallimard, 1994, p.553.
- 33- Foucault Michel, Histoire de la folie à l'âge classique, Gallimard, 1972, p. 44.
- 34- Foucault Michel, ibid., p. 332.
- 35- تعد أحداث السبعينيات بمثابة الثورة ضد السلطة ، لذا تم إبداع - جمعية التدخل للسجون - (G. I.P) ، ف: فوكو ليس مصلح ولا مشرّع ، وإنما مُنطق للسجن ، لذا يُعده أداة للقمع.
- 36- Foucault Michel, tome I, ibid., p.552.
- 37- فوكو ميشال ، يجب الدفاع عن المجتمع ، تر: الزواوي بغورة ، دار الطليعة-بيروت ، ط 1 ، أكتوبر 2003 ، ص 192.
- 38- Foucault Michel, Les mots et les choses, ibid., p. 396.
- 39- Foucault Michel, Dits et écrits, ibid., p. 30.
- 40- تعرض لداروين نتيجة تطور الأجناس ، فمارسه الفيلسوف على الخطاب خصوصاً أنه يحددها من الخارج.
- 41- Foucault Michel, Dits et écrits, Ibid., p. 58
- 42- فالوظيف الفعلي للخطاب يرتبط بسؤال الحقيقة التي هي بالنسبة له دائماً فاغوسيتي (Phagocytée) أي أنّ تحليل الميكانيزم يرتبط بتحليل أشياء أخرى ويتوقف عليها من خلال رهان السلطة.
- Cf,Abélès Marc, Michel Foucault et l'anthropologie, Foucault, Derrida, Deleuze Pensées Rebelles, in Scienses humaines, n°3, mai- juin 2005, p. 44.
- 43- Foucault Michel, Ibid., pp. 34 - 35.
- 44- CF. Foucault Michel, Les mots et les choses, ibid., p. 276.